لأنّها قامت بمحض الاختيار، وبلا إكراه ولا إجبار، على أساس تعاقد سليم، توافرت فيه شرائط صحّة العقود، من عرض وقبول وشهادة شهود. فا قد عرض، والبشر قد قبلوا العرض، ثم شهدوا على أنفسهم بقبول المعروض. وسُجّلت عليهم شهادتهم هذه حجّةً وثيقةً: (أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)[689]. أو ليسوا بمبطلين؟ * * * لا ريب قد فسق رؤوس الكفر من قريش عن أمر ربّك، وباتوا في الغاوين ... نفضوا الميثاق، مزّقوا العقد الذي أبرموه، اختاروا لأنفسهم النكث، ثم أبوا إلاّ أن يفرضوه على غيرهم، أو حاولوا أن يفرضوه. لكنّ الدعوة نشطت وأُنوفهم في الرَغَام[690]، قفزت من فوق أسوار الشرك لتنزل منازل مكينة بقلوب أُناس اهتدوا من أهل القرى والأطراف، ما قرب منها أو نأى عن البلدة الحرام، وضعت قدميها على بداية طريق الانتشار. خطوة خطوة انطلقت في السير، رنوة رنوة[691] راحت تتطلّع إلى يثرب كملاذ آمن، وتتّخذها في يوم آت نقطة للأُثوب[692]. لحظة لحظة، كانت فاطمة تتابع تقدّمها نحو غدها المظفّر الموعود، وكلّها رجاء. دلّها قلبها على وشك تقلّص ظلال الهموم ... فالفرج قريب، والنصر قدر محتوم، والعقبى للمؤمنين.